رشاد نوري وقصصه

قلت مرة : أنني أرى من واجب الادباء عندنا — تمهيداً لادخال القصة ادبنا — أن يعرضوا علينا نحن القراء نقلا او تلخيصاً أو تحليلاً ، نماذج مما شاع وانتشر منها فى الآداب المختلفة العامة . وعلى الاخص منهـا الآداب الشرقية من روسية وهندية و يابانية وتركية. فانها تتفق واذواقنا . ولا تكون بعيدة نفسيات اشخاصها عن نفسياتنـا كالقصص الافرنجية التى اسرف فى نقلها الى لغتنا كتاب لايفقهون .

وكنت ارغب كثيراً فى ان انقل بقلمى من اللغة التركية التى اعرفهـا

للدولة الرومانية الشرقية . وعلى ذلك الشعور وهذا الاحساس قد رحلوا قبل افتتاح القسطنطنية بخمسين عاماً الى المدن الايطالية حيث يكونون فى مأمن على علومهم وعلى آثار حضارتهم القديمة من الاعداء . فلا يتسرب اليهـا الاندثار والتلاشي .

فهذه الـكنوز الادبية العلمية الاغريقية التى نقلها علماء القسطنطنيةالى ايطاليا خشية عليها من الاندثار كانت عونا كبيراً للاوربيين فى توطيـد اسس النهضة الاوربيةوتشييددعائمها . واخذوا منذ ذلك الحين يدرسون الاغريق عن سبيل مؤلفاتهم وآثارهم رأسا لا عن سبيل العرب بالواسطة .

واذاً فما دامت الحضارة الغربية الحديثة هي الوارثة الوحيدة للمدنيـات التى سبقتها فلا ضير علينا من التعويل عليها في نهضتنا الحديثة .. بل نحن اذا رجعنا الى الحضارة الغربية فكأنما نرجع بواسطتها الى الحضارة الاسلامية القديمة لانها وارثة لها كما ورثت سائر المدنيات ؟

القرنة : عبدالغني شوقي

بعض القصص الـكبيرة ، فلم اوفق الى ذلك لاننى مقصور على اضاعةوقتي الثمين وجهدي في سبيل الرزق ! بيد انني اختلست بعض الساعات من ايامى الماضية ، فعربت واوجزت اقصوصات مختلفه . نشرت بعضها واخرت بعضها الى حين .

وكنت ولا أزال مولعـاً بقراءة قصص كاتبين اثنين هما اشهر كتاب القصص التركية : رجائي زاده ارجمند اكرم ، ورشاد نوري .

وهما ، بعد ، اكثر قراء واوفر حظاً من الاقبال .

والاكثرية الىجانب رشاد . لانه نزاع فى قصصه واقصوصاته الىالحرية معبود الفريق النـاهض من الشعوب الشرقية المكدودة في هذا العصر ؛ نزاع الى هدم التقاليد البالية ؛ نزاع الى شن الغارة الشعواء على المحافظين الرجعيين . بل هو لايزال يشنها عليهم فىقصصه واقصوصاته كافة وقد بدأها عند مطلع فجر الانقلاب .

وانت تفتح المجموعة (من مجموعات اقصوصاته) المسماة « ضيف الرب » فتقع عينـاك على اقصوصة عنوانها : « معايب المدنية » فتسأل نفسك « أللمدنية معايب ؟ وماهى هذه المعايب ؟» فاذا ماقرأتها الفيتها حواراً بين محافظ على القديم ، ذي دين ، وبين غبي يفهم التمدن على غير الوجه الصحيح. والاول يخطب ابنة الثاني لولده . وهو يعرض عليـه طرفا من اخلاق ولده الشاب الذي لم تدخل فمه قطرة من الخمر ، ولم تـكن له علاقة بامرأة من النساء الا واحدة أحبته وهي ذات زوج فراودته ، فابى ان يدفعها بيديه الى خيانة زوجها . وهو يفخر بان ولده أبى قبول منصب كبير عزل عنه صاحب له ، لان المروءة وحق الاخوة يقضيان عليه بان لايأكل لقمة اخذت من بين شفتي صاحبه الحميم ؛ ويفخر بانه رأى ذات ليلة في الشارع امرأة يستدرجها و يستغويها

بل ينتهبها لصوص الاخلاق ، فانقذها .

فاذا بالغنى المتمدن يتهم الولد بالوحشية ومرض النفس لانه لم يشرب الخمر ؛ واذا به يفهم انه ناقص الغريزة الجنسية الانسانية لانه لم تكن له علاقة بواحدة من النساء ، وانه لا يعرف مصلحته الاقتصادية فيضحي بالمنصب من اجل صديق ، وانه لا يعرف قيمة لحياته اذ عرض نفسه للخطر من اجل امرأة .

هكذا هو يعتقد لانه متمدن متفرنج . والمؤلف رشاد نوري يعبث به ويسخر منه ويزدريه . وهو يعرضه على القارئين نموذجاً للعقلية المتفرنجة المزيفة التي عرف بها فريق كبير من سكان استانبول . لا سيما الاغنياء .

والاقصوصة تنتهي بخيبة أمل الخاطب لان صاحبه لم يشأ ان يعطي ولده ، ابنته المتمدنة التي تنتظر الزوج المماثل لابيها على الاقل .

وفي المجموعة الاقصوصة الاولى، بل هي القصة الاولى لانها كبيرة ذات فصول عدة . وعنوانها هو عنوان المجموعة كلها : « صيف الرب » . وهذا الضيف شيخ من المنتسبين للدين كذباً وزوراً . يزور أسرة معروفة في أحدى المدن التركية . فتضيفه لانه ابن شيخ زاهد متوف معروف عند هذه الاسرة . وهو يدعي انه في طريقه الى مدينة أخرى ، فاذا مرت ايام ثلاثة ادرك رب الأسرة ان الشيخ معتزم الاقامة في البيت ويقيم الضيف اياماً أخرى ورب الاسرة ينوقع منه الرحيل ، فلا يراه الا مقيما . وهنا يكاشف أمه العجوز بالامر ، ويكاشفها بانه عازم على طرده من البيت ، لان الرزق ضيق نطاقه ، ولان الشيخ اضحى يعالج مرضى المسلمين بالتمائم والرقى ، فاضحى بيته اشبه شيء بزاوية او مستشفى ، ولان الشيخ فوق ذلك اضحى يأكل ثمرات الحديقة ! ولأنه يؤذن اذان الصبح قبيل الفجر فيوقظه من النوم ، فلا تجيبه

الأم الا بمثل هذه الكلمات ؛ ويك يا بني ! انه لضعيف الرب . ورزقه على الله . وكيف نطرد شيخاً تدخل البركة وملائكة الرحمن البيت الذي يحله؟!

وتنتهي القصة بحوادث ثلاث جسام :

فقد هتك « ضيف الرب » عرض المربية وهي امرأة عاشت في البيت ثلثي عمرها، فطردوها ؛ ثم انتقم رب الاسرة منه فطعنه طعنة كسرت له ساقه ثم اقسم : ان امرأته طالق ان دخل ضيف الرب البيت مرة اخرى ، فاذا برجال الشرطة يأتون به البيت محمولاً على تابوت ، فيضطرونه وشيوخ (المحلة) الى ان يعالجه فيشفيه ، او يرفع امره الى المحكمة ، فتسجنه .

وأذ أدخل البيت ، اضحت امرأة صاحب البيت طالقاً !...

***

وفي المجموعة اقصوصة عنوانها « اسرار المعتكف » . تعرف منها ومن القصة السابقة كيف كان بعض الشيوخ المتظاهرين بالزهد في تركيه يعبثون بالناس ، تحت ظل النظام الاجتماعي القديم .

فانت ترى شيخاً معتكفاً ، على رأس جبل ، كأنه منقطع الى عبادة الله . والى جانبه فتاة قروية ساذجة يلقي عليها هذه السؤالات :

— ما عمرك ؟ وما اسمك ؟ وهل لك اب أو أخ ؟ وما الذي جاء بك معتكفي هذا .

وانت تفهم من اجوبتها انها مخدوعة وقد ساقها سوء حظها وجهلها الى فخ هذا الصائد الملعون . تقول : انها شابة فقيرة تميل الى لبس الثياب واللعب والمرح والسرور ، لكنها وعمتها العجوز في عسر . وقد بكت من اجل عباءة يومين في العام الماضي فلم تفز بها . وانها وعمتها زارتا قبل يوم بيتا في قرية على مقربة من الجبل ، فرأتا في القطار سيدة جميلة ادهشها ما عليها من ثياب